

من أدب الدعوة

ف

الحجّون

بقلم : الشيخ محمد بن أحمد العثيل

مهد الشيخ حسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي في كتابه الدياج الحسرواني لهذه المغامرة الشعرية بقوله : (ولما وصل أمراء نجد إلى هذه البلاد لم يسلم لهم أمير المنطقة حتى وصلت قصيدة من الشيخ محمد بن أحمد الخفطي صاحب (رجال ألمع) موجهة إلى الوالد القاضي العلامة عبد الرحمن ابن حسن البهكلي يستحث أهل الجهة في سلك طاعة النجدي)!. وقد أجاب عن هذا النظام الوالد القاضي وجماعة من علماء الجهة، وقد رأيت إثبات جواب العلامة حسن بن خالد لأنه أحسنها وأجمعهم).

وكان الدرعية رأت أن طريق الاستمالة بالدعاية العلمية، وتوضيح حقيقة الدعوة واخطف السامي لها من طريق نشرها السلمي هو الأفضل، فأرسلت تلك القصيدة إلى كبير قضاة المنطقة، ونحال عند وصول القصيدة إلى قاضي البهكلي عرضها على الأمير ووزيره، ثم على علماء الجهة.

لقد أحاب القاضي البهكلي وهو في تلك الفترة قاضي مدينة أني عرش قاعدة الإمارة. كما أحاب عليها عدد من علماء اأخلاف السليمانى، وكان في ذلك التاريخ في علماء المنطقة سنيون كان اأخسكى في أني عرش، وأن شافع الثمارين والسابعة في صبا، وفيها شعبة ومشيكون في جهات أخرى.

فكانت النتيجة أن الاجابات كانت متباينة حسب انبيل اأذهبه سلبا وانجابا، وانما بورد الشيخ حسن بن أحمد الضمدي لا جواب القاضي البهكلي ولا غيره واكتفى بالمراد فصبدة العلامة حسن بن خالد وزير الأمير، وأمير المنطقة اأذاك في حرب مع الدولة السعودية، وهو يدين بالولاء الروحى والساسى واأذهبه لأمام صلعاء، ومن ذلك انشطلق نال أنه كان الرد في الفصبدة.

وليس إمارة حمود هي التي وقفت من الدولة السعودية والدعوة الاصلاحية بله اأخلاقة العثمانية وامبراطوريتها الواسعة في البلاد الاسلامية والبلاد العربية خاصة.

بل ان امراء شبه اأخيرة كان يقض مضاجعهم ويبرز حكمهم أنيز تلك الدعوة الاصلاحية، فكانوا في طلائع مناوليها، وحشد العلماء للنبل منها والعزم والنمى بله التخرج والكفير لأصحابها.

كان النصف الشمالى اأمتد من شمال درب بني شعبة الى جنوب مدينة صيبا فد تقبل الدعوة سرا، عن طريق الدعاة وأصبح مهياً لأعلان اأنتائه اذا وصل من يرفع أو يقوم برفع لوالها، وبعد ذلك بربعة عاد عرار بن شار الى وطنه الدرب وأعلن الدعوة كما وصل الى وطنه صيبا الداعية أحمد بن حسين األفقى بحمل كتاب عبد العزيز بن محمد الى أمير اأخلاف واما يستجب له حرج الى جهة اأخافرة وقام بواجب الدعوة.

وعلى كل فاجديده من كل الدعوات الاصلاحية يلقى عادة كل مقابلة، ولا يقبل عليه الناس الا القليل منهم، وسواء كان الانسان عائلاً أو مقنناً فانه يصعب عليه األتناق من ماضيه القريب الا بعد أن يتخلص من مناعة

المقاومة والأنفلات من جاذبية قيود الاعتياد ونبئت الشيء الجديد صلاحه للبقاء وأهليته للهداية.

وبعد هذا التمهيد علينا دراسة القصيدة دراسة موجزة نستشف من ثناياها ما وراء معانيها.

تألف القصيدة من خمس مقاطع يشيد في المقطع الأول بالدعوة وما تقوم عليه من التوحيد ومنها:

يا حبذا يا حبذا يا حبذا	فالتصح مقبول على الوجه الخلي
فبين الداعي وما يدعو له	في الآن والزمن الرحيب المقل
أمر مهم وهو أمر لأرب	للعالم المتفطن المتعقل
أما الرسائل التي تأتي من	الداعي فأمر ما به من مدخل
يدعو الى التوحيد ثم لوزم	ثبت لها واخف منهجه حل
ولزوم سنة أحمد بأصوفا	وفروغها لم تخف عن متأمل
قسما لقد سر الفؤاد بما حوت	وشفا بنور منارها المتهلل

أما المقطع الثاني فيبثدنه مستبها بقوله:

لكنها جاءت بأيدي عصبة عملوا بضد مفصل مع مجمل
بل صرحوا بالشرك في كل الورى في أمة الهادي بعير تأمل

ومضى يورد معنى الآية (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ومعنى ما جاء في الأثر (أنه لا يخشى على أمة محمد شرك). وإن تلك العصبة قد استباحوا النساء وأحلوهن وأنهم يتعاقبون على النساء في الخافل واليعض يكرههم وأنهم كم قتلوا من صبي في سن البفوعة؟.

أما المقطع الثالث فهو امتداد للمقطع الثاني فيذكر أنهم استباحوا شيوخا ركعا أنقياء، وأن الرسول ﷺ لم يغز قرية يقام فيها الأذان للصلاة وإذا غزى الكفار قدم داعيا يدعوهم فإن استجابوا ألا قاتلهم.. الخ.

أما المنقطع الرابع فهو مختص (بالمقدمة)، والمقدمة يقصد بهم قادة السرايا وكبار الدعاة مثل عبد الوهاب المحمدي الملقب بأبي نقطة، وعرار بن شار الشعبي داعية بني شعبة وأميرهم، وأحمد بن حسين الفلقي، داعية الجعافرة ومن يلجهم وينسب إليهم، انهم يجهلون الناس وإن داء اخیل أصبح فاشيا فيهم وللحقيقة والتاريخ ومع تقدري لعلامتنا المراض نورد نبذة بسيطة عن كل منهم:

• عبد الوهاب أبو نقطة: ممن تلقى الدعوة من الدعاة في وطنه ثم هاجر الى الدرعية هو وأخوه محمد ودرسوا مبادئ الفقه والتوحيد وعادا لوطنهما - وقد أشارنا الى ذلك في كتابنا اختلاف السليمانى - وعلاوة على ذلك فإن عبد الوهاب أتت نقطة أثبت وجوده كفتايد سعودي من المزارع الأول ومن أشهر القادة السعوديين في ذلك العهد لا في أرجاء السعودية الأول بل ببلدى الأوربيين وبالأخص الرحالة منهم، - راجع كتابنا محاضرات في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب. -

• عرار بن شار: تلقى الدعوة على أيدي الدعاة في بيته ثم هاجر الى (الدرعية) وتلقى مبادئ التوحيد ثم عاد داعية الى وطنه فلم يعقه مركزه عن طلب العلم فتعلم على يد العلامة علي بن داحش الفقي الذي كان على علم بأصول التوحيد ومن المناوئين لخالقيه، ويقول صاحب نفع العود: (تأول ابن داحش من تمار تلك الدعوة ما منع وطاب، وكان المذكور فاضلا تعلق بطلب العلم وحصل من فروع الفقه شيئا، وانتسب الى طلبة العلم ثم انحاز الى محاربة الشيخ الرئيس عرار بن شار فتعلم له عرار وطلب على يديه العلم، هذا هو عرار، ويقول عنه صاحب نفع العود كان عرار رئيسا حادًا مقصودا يهب المال ويحمي الذمار وله مقاصد حسنة ومعرفة بأمر الآخرة، وفي رئاسة ظاهرة.

• أحمد بن حسين الفلقي: ولد بصيبا ثم رحل الى الدرعية ودرس الفقه والتوحيد وعاد داعية الى وطنه - راجع ترجمته في تعليقات نفع العود.

وعلى كل قد أفضوا الجميع الى رحاب الله تغمدهم الله وقد أنفوا الى ما قدموا، وعليها الاستفادة من عبر التاريخ وعظات الزمان.

أما المقطع السادس فينتدئه بقوله:

هذا ولنا قائلين بأن ذا الأمر من عبد العزيز الأكمل

فهو يبرئ عبد العزيز بن محمد امام الدولة من فعل ما نسبته الى أولئك القادة أمراء السرايا ودعاة الدعوة، ولكنه يطلب تدارك الأمر بالنهي عن سفك الدماء والقتل للأولاد والسبي للنساء كما يقول؟ ثم يختم هذا المقطع بقوله:

أو مرسل يدعو لسنة أحمد في الناس ينشدها بعز تبدل
الله يعلم أنه لو كان ذا كنا نسارع نحوه بتعجل
فخذ الجواب لسان حال سائل عن كل اشراف البلاد الكامل

ان الخصومة السياسية في ذلك العهد ما بين أمير المنطقة ورجال الدعوة كانت على أشدها ولم يكن في ذلك الوقت اذاعة تقوم بالدعاية للدعوة كما أنه لم يكن خصوصها وسائل تقوم بالدعاية المضادة وإنما كانت الدعاية الفردية ورسائل العلماء، وقصائدهم هي وسائل التعبير عن تلك المواقف وكما هو الشأن الآن فنسمع على موجات الأثير الدعايات بمختلف أنواعها من نبذ الخصوم بالشيوعية والامبريالية والرجعية بل وتتناول النواحي الدينية وهذا شيء صار الغالب على الدعايات الدولية لا يستثنى منه الا القليل وعلى رأسهم حكومتنا السعودية التي هي بمسلكها الاسلامي بعيدة عن المهاترات والردح والخصومات الكلامية، وبما أن الرجوع الى الماضي مستحيل ماداماً فعلينا أن نستقرىء مواد التاريخ وما سجله المؤرخون مع الخيطة أن المؤرخ بشر فاذا كان في الجانب المهاجم فهو مجند ويبرر واذا كان هو من الجانب المدافع فهو بدوره ينبذ الخصوم بكل وسائل التكفير وبخالفه الدين ونسبهم الى فقة لا ينظر اليها الجمهور بعين الرضا كأن ينبذهم بالخوارج والمعتزلة وغيرهم، أو ينسب اليهم القتل والتدمير والسب والنهب والتحريق وهذا شيء سائر في كل العصور، واذا أضفنا الى ذلك المواقف العدائية للدولة العثمانية من الدعوة الاصلاحية وشيوع التشيع في جنوب الجزيرة، كان ذلك من أكبر ما يدفع المؤرخ بميوله وبحكم مجازاة التيارات، ومع كل ذلك نجد أنه لا يخلو كل عصر من رجال قليلين يلتزمون جانب الاعتدال أو يظهر في نفائسهم تلميحات مضيقية، فيما يكتبون للأجيال.

وبين أيدينا مصدرين تاريخيين لتلك الفترة وهما:

١ - كتاب نفع العود تأليف القاضي العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي وهو من رجال المنطقة ورجال القضاء وهذا العالم عايش الأحداث وعاصر الحوادث مشاهدة ومعاينة سنة ١١٨٢ هـ - ١٢٤٨ هـ / ١٧٦٨ م - ١٨٣٢ م.

٢ - كتاب الديباج الخسرواني في ذكر ملوك اختلاف السليمانى للشيخ حسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي الملقب عاكش وهو ولد سنة ١٢٢١ هـ - ١٨٠٦ م وتوفي سنة ١٢٨٩ هـ - ١٨٧٢ م وعلامتنا يقول في مؤلفه الديباج الخسرواني ما نصه:

«أنه لما بلغني أن والدنا وشيخنا قاضي الجماعة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي ألف مؤلفا بدعيا في أيام الشريف حمود لم أزل أبحث عنه ممن أظن عنده ذلك الخبر. ولم أقف له مع ذلك على أثر. وكان قد ألفت مجموعة في أخبار أعيان اختلاف السليمانى وسميته الديباج الخسرواني وأثبت فيه ما بلغني من وقائع الفخام. كما تلقيته من الثقات لأن بعض أهامه وقعت قبل أن أبرز إلى عالم الوجود». وسجل فيه الأحداث إلى عام ١٢٧١ هـ.

ويظهر أنه بعد ذلك التاريخ عثر على ذلك المؤلف المسمى نفع العود فيقول: (عسا تأملته وجدته قد استكمل مبتدى سيرته لأن تلك الوقائع على عين مه ومسمع ولا يثبت مثل حبير. وبلغ فيه إلى سنة ١٢٢٥ وفي طي ذلك وقائع متتابعة وملاحم كثيرة رائعة، وقد أردت أن أكمل ما فاته من سنين - الخ.

فعلامتنا عاكش نوى حمود أمير المنطقة وعمره سنتان تقريبا وأخذ بعد ذلك في طلب العلم والترحال إلى زيبد وصنعاء وبيت الفقيه وغيرهم، ويظهر أنه ألف كتابه الديباج الخسرواني في سرار العقد السابع واستمر فيه إلى عام ٧١ فاستقى كل معلوماته كما يقول من الثقات وبعد ذلك عثر على كتاب نفع العود.

وفي خلال تلك الفترة من سنة ١٢٢٥ هـ إلى سرار العقد السابع من ذلك القرن مضت نحو أربعين عاما انقضى فيها جيل ونشأ جيل ولم يبق من الجيل الأول الا الأقل في عهد لم يزد متوسط الأعمار فيه عن ٣٠ سنة، وفي الوقت نفسه مضت على انتهاء الدولة السعودية الأولى وسقوط الدرعية ٣٥ سنة وعاد خصوم الدولة السعودية والدعوة السلفية نشاطهم ومكانتهم الرسمية والحرية والاجتماعية سواء في الحجاز أو في الخلاف السلطاني أو تهامة أو في اليمن الأعلى وأصبح النفوذ الرئيسي محمد علي خصم الدولة السعودية الأولى، ورجال حكومته أو من أقامهم هو في الامارات ممن يغلبون صلفته ويسرون على هواه، ثم أعقب ذلك رجوع الأتراك العثمانيين الى جنوب الجزيرة وأصبح لا يروج مؤلف الا اذا تناول عهد الدولة السعودية بالتجريح والقدح، وقد قيل في المثل ويل للمغلوب.

والعهد الأموي أزهى عهود الفتوحات العظام التي خفقت فيه راية الاسلام على أغلب آسيا وأفريقيا وقسم من أوروبا، ولم يشهد عظمة الدولة الاسلامية الا في ذلك العهد.

ومع ذلك عندما انتهت تلك الدولة العظمى والامبراطورية الواسعة على يد خصومها من العباسيين كان لا يروج مؤلف الا اذا تناول سيرة بني أمية بالقدح والتجريح ويتخذ من رجالهم الخازمين وعمامهم البارزين وقادتهم وسيلة الى تجريحهم وتحميلهم وورر تجاوزاتهم والانخاذ من ذلك وسيلة الى القدح والنيل من مكانتهم في مثل الخجاج بن يوسف وزيد بن أبيه وغيرهم.

ولسعد الى ما ورد في أقوال مؤرخي تلك الفترة قال صاحب مؤلف نفح العود عن أكبر وقعة سجلها وهي وقعة ضمد بين قادة الدعوة وحمود.

(نعم فتوجه حزام العجماني الى خبت السيد غرب وادي بيش قلقي بعض النعميين وهم أهل ابل وماشية، فقاتلوه وكانت الدائرة عليهم).

ويقول في ص ٨ : (وصلت غزاة من قحطان وكان قصد تلك الغزاة اليمن لبلاد أبي عريش وضمد، فحصل منهم تعدي على راعي غنم ويقر من أهل الملحاه عاهدوا حزام العجماني قبلا ففتكت الغزاة بالراعي واستاقوا الماشية

وذكر لهم أهل الملحا العهد فلم يلتصقوا له، فاجتمع أهل الملحا على قتال الغزاة وحصلت معركة ذهب فيها الكثير من تلك الغزاة ولم ينج إلا أميرهم.

والمؤرخ رحمه الله لم يقف فقط عند الغزوات السعودية بل يذكر حتى غزوات حمود وما وقع منها فمثلا يورد في ص ١٠ عند توجه حمود من أبي عريش لقتال الداعيتين عرار بن شار وأحمد الفلقي في قرية السلامة في شهر الحجة عام ١٢١٦ : (ارتحل حمود من أبي عريش إلى الساحل - يقصد الجعافرة الذين قد دخلوا في طاعة السعوديين - فأحرق القرى ونهب ما فيها من الخبواب وتوجه إلى ييش.. الخ).

وفي غزوة ضمد التي هي تعد من أكبر وأهم غزوة بعد أهبة غزوة أبي عريش يقول صاحب نفع العود : (واجتمع من جميع غزو الدعوة ما ينوف عن الثلاثة آلاف - مما فيهم غزو أمير صيبا الداخل في الدعوة والداعيتين الفلقي وعرار - ثم توجهوا إلى بلدة ضمد وقد اجتمعت كلمة أهلها على المدافعة والقتال ورتبهم من قبل حمود - العلامة حسن بن خالد الحازمي فصيحهم العدو وقت الأشراق واشتد القتال واستولى الشروق على البلد بعد أن شربوا الزعاف وتعرعوا الكمد، وقتل جماعة من أهل العلم وهتك كثير من الحرم ولم يراء صاحب ولا خليل خليله شيء من الذم).

(وسبب ذلك التأويل فإن أهل نجد يزعمون أن أهل ضمد أهل شرك ثم أسلموا عند وصول القائد حزام العجماني ومقابله الأمير يحيى بن محمد الحسني وصحبته شيخ الاسلام أحمد بن عبد الله الضمدي وانعقد الأمر بينه وبين حزام أن يقوم الأمير يحيى بالعهد والدعوة في أبي عريش، ومنصور بن ناصر في صيبا، وأمورهما مناصرة لشيخ الاسلام أحمد بن عبد الله الضمدي).

وتأويل أهل ضمد وحسن بن خالد أن أهل نجد حوارج، وهذه مسائل قد فرغ منها، وعند الله يجتمع الخصوم، وقد رددنا على هذا القول في تعليقنا على كتاب نفع العود في الحاشية رقم ١٤، ولوردنا تاريخ الحوارج ونشأتهم ومذهبهم وأن الشيخ محمد سلفي العفيدة حنبلي المذهب يشيد بالصحة ويقدرهم ويترضى عنهم جميعا، ويتولى الخلفاء الراشدين الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

أما في موضوع الخلافة والامامة فهو يتبع رأي أهل السنة والجماعة لأن الخلافة أمر ديني والله سبحانه وتعالى يقول : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وفي الحديث (اسمعوا وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي) وفي الرجوع الى البحث نفسه ما يغني.

وفي موقعة أبي عريش نكتفي بنص ما أورده صاحب نفع العود وهو من علماء امارة حمود ومن عايش الأحداث وشاهدها فيقول : (وثبت جند حمود ريثا غشيم جند عبد الوهاب كأثم السيل الجرار وحملوا على الحصون فلاقوا عنها شرب المشون وثبت أهلها ثباتا حتى لم يبق منهم الا رجل أو رجلان، ومازالوا يفتحون حصنا بعد حصن ويأتون على من فيها قتلا وماسمع أنهم أسروا أحدا من الرجال الا من النساء واستدام الحرب الى العصر من ذلك اليوم ١٥ رمضان سنة ١٢١٧هـ وانحاز من نجا من أهل أبي عريش الى ديرة الأشراف).

من ظن أن يلقى الخروب ولم يصب قد ظن عجزا

أما مؤلف حقائق الزهر حسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي الملقب عاكش فقد علق على هذه القصيدة بقوله : (وهذه القصيدة - يقصد قصيدة حسن بن خالد الخازمي - قد شرحت جملة مما هم عليه وقد وقعت مقالوة بين صاحب هذه القصيدة وعلماء وقته هل يطلق على هؤلاء الطائفة أنهم خوارج أو لا يطلق، وألفوا في ذلك رسائل، وقد اطلعت على بعض تلك الرسائل وفيها ما يقتضي بالحكم عليهم أنهم خوارج، بالعلامات الواردة منهم من صاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والسلام).

(ومن أنصف واطلع على سيرتهم علم عدم اتصافهم بتلك العلامات الواردة في الأحاديث، وقد سمعت جماعة من علماء العصر يصرح بأن مذهبهم مذهب الخوارج ولكن هذا خروج عن الانصاف وركوب متن الاعتساف فان عامة ما هم عليه هو الدعوة الى التوحيد وترك ما عليه الآباء والأجداد من التقليد وهدم ما أمر الشرع بهدمه، ومجرد الخطأ في مسألة أو مسائل لا يخرج العالم عن طريق الشرع الحمدي، وكلام من تكلم انما هو بحسب المعصية وعدم التفطن لموارد الأدلة الشرعية فان بدعوتهم زالت بدع كثيرات وابتعد

الناس عن المنكرات فجزاهم الله خيرا والأعمال بالنيات وقد أبان العلامة الكبير
البراهيم بن محمد الأمير في مؤلفه الذي سماه «فتح الكبير المتعال الفارق بين
الهدى والضلال» طرق دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واستدل على صحة
ما دعى الخلق إليه، مما لا يبقى لتصرف بعده إرتياب انه على طريق الصواب.

أشرنا قبله الى ما أورده صاحب فتح العود حول عروات الدولة السعودية في
المنطقة وإلا لا للبحث بورد ما ورد في كتاب حقائق الزهر للعلامة حسن بن
أحمد الضمدي الملقب عاكش، في حال أنه كما أسلفنا ألف مؤلفه بعد مضي
نحو أربعين سنة على تلك الأحداث ووقوع تلك الحوادث في عهد قد انضوت
فيه صفحة الدولة السعودية الأولى والنهضة الإصلاحية - وذهب رجاءنا من
هذه الدنيا القارية وقد قامت في المنطقة إمارة من الضالعين مع محمد علي فقال
مانعه باختصار: (واعلم أن وقائع أبو مسمار كثيرة مشهورة وفي صفحات
الدهر مسطوره ففي سنة ١٢١٧هـ كان صباح قرية ضمد على يد أصحاب
عبد العزيز بن سعود من أهل تهامة وغيرهم من حبال عسير وقحطان وغيرهم
وصباح عظيم قتل فيه خلق كثير، وأسر فيه جماعة من أهله وأخذ جميع ما في
القرية وأحرقت وثبت في ذلك جماعة وواسطة عقدتهم حسن بن خالد، ثم إن
أهل القرية تفرقوا في القرى ومنهم من رجع الى القرية، الى أن كانت الواقعة
الكبيرة التي أفضت الى صباح أبي عريش في شهر رمضان).

وسبباً أنها نزل العربا من طريق أمراء نجد تتابع على أهل هذه الجهات
ويضع منهم الذهب والتعدي في الطرقات، والشريف حمود أبي مسمار لم يزل
يخشي أضراف بلاده ولكنه بكثرتهم كلما بعثوا سرية خلفتها أخرى فوقع منهم
صباح بقرة السلامة وقرية ضمد وانفتحت أمور منهم ينكرها العقل والشرع:

وكان ما كان مما لست أذكره فاكف لسانك لا تسأل عن الخبر

«وبعد ذلك تأبط عبد الوهاب بن عامر الشر ولم يزل يطلب الأذن من
عبد العزيز ليحمله لقتال حمود فأسمعه الى ذلك المراد، فزحف الى أبي عريش
بحيش حرار من رجال نجد وتهامة وحاصرت بالمدينة العريشية وصدق بين
الفرهقين الجلال واستقام حمود وابن أخيه علي بن حيدر في ذلك اليوم مع أهل

المدينة عاية القيام، وما غربت شمس ذلك اليوم إلا وقد هلك جمع غفير من
الجانين نحو الألف واستولوا على المدينة بأسرها ونهبوا ما فيها، وهكذا يفعل من
كان همه المثلث العضوض».

هذا ما ورد عن الغزوات نورده للحقيقة والتاريخ ومن بعده دخل حمود في
طاعة السعوديين كما هو معروف، وبعد هذه الدراسة والتمهيد نورد قصيدة
الشيخ الخفطي ثم قصيدة العلامة حسن بن خالد.

قصيدة الشيخ محمد بن أحمد الخفطي التي أرسلها إلى قاضي أبي عريش
الشيخ عبد الرحمن^(١) بن حسن البهكلي يستحث بها أهل الجهة إلى الدخول
في الدعوة السلفية وهي:

هلم السحى وهاج يوق المثل	وبدت صباهات الغرام الدول
وتذكرت بيش المشوق عهودها	وورودها بسعودها في المنهل
وبدت له في تعرد نسه	هشت له أوراخ قوم كمل
ولئن ظفرت بمطلي في اخنا	ان كان قصدي صاخا في أول
ولئن تعذر ما نقتت لأحله	فبقدره الله العلي المعتل
فهو الذي ماشا كان ولم يكن	مأم يشا فاعلم بهذا واعمل
فيا باسمك اللهم أبدأ أولا	متعرضا لنوالك المنزل
ومعرضا لا معرضا لنصحة	ندبت ها أي الكتاب المنزل
فليك يا قاضي البلاد قصيدة	حسنت معاني لفظها المتعل
وفدت اليك وفود ضيف برنجي	حسن القرا المستحسن المتسهل
فايسط ها بسط القبول تكرما	واجمع ها أغنيان أهل المنزل
فمن الظهور حفا تنصيص هم	لا يحسن التنصيص في الأمر الجلي
واشرح هم بيت القصيدة وقصده	فاليك شرح مقول أو أطول
واستشهد الأيام وانظر شأنها	وارقب عواقب حاها المتحول
واحق أولى أن يجاب وانما	لم أدر ما حيلولة المتحيل
ان كان ظنا أن ذاك مخالف	فهو البريء من الخلاق الميطل
بل قام يدعو الناس للثـ	وحيد والتجريد والتفريد للرب العلي
ويذب عن عرش النبي محمد	ويذم من يدعو النبي أو الولي

ولقد أصاب فكم أزال شائعا
أو كان ظنا أن فيه غلاظة
فأقول حاشا أن فيه ليونة
لا يطلب الأموال من خزانها
أو ينزع الملك الممول أوله
بل قصده التوحيد في أقوالنا
هذان ليس سواهما مقصوده
فأله حب الشرعي احابة من دعا
واليكم هذا النظام وعكم
ولكن أجبه فإخواب سحبه
ثم الصلاة على النبي وآله

وبدالعا وصنالعا لم تقب
وفظاظه وشكاسة لم تحمل
وهيونة للمقبل المستقبل
وينفل الأبطال ان لم تطل
غرض بمذهب آخر عن أول
ثم اتباع للنبي المرسل
فعلام ينفر كل ندب أفضل
خما ولو عيد فكيف بمدول؟
تستخرج الأنظار في المستشكل
وأخير فيما اختاره الرب العلي
ما لاح برق جنح ليل أليل

وقد أجاب الشيخ الهكلي بقصيدة كما أجاب عليها غير واحد من علماء المنطقة سلبا وإيجابا إلا أن صاحب كتاب الديباج الحسرواني لم يورد إلا القصيدة الخواوية التي أجاب بها العلامة حسن بن خالد الخارمي (٢٦)

ومع أننا لا نفر بعض ما جاء فيها من تجاوزات وخاصة الاتهامات الموجهة للدعوة السلفية والدعائها إلا أننا نوردتها لبيان اقتحام الأدب ميدان الصراع السياسي والديني في ذلك الوقت.

فقال العلامة شرف الدين الحسن بن خالد الخارمي رحمه الله :

الله أكبر كل هم ينجلي
وموحد الله جل جلاله
وبدائي اللهم الله فيما انتهى
ثم الصلاة على النبي محمد
والآل أرباب الهداية والثقة
ولقد عثرت على نظام صاغه
يا حبذا يا حبذا يا حبذا
فتبين الداعي وما يدعو له

عن قلب كل مكبر ومهمل
والشرك عنه والضلال بمعدن
من نظمي العذب الرقيق السلسل
خير الزرى النبي العظيم المرسل
من ودهم نص الكتاب المثل
في رام أنجعا، شأنه لم يجهد
فالتصح مقبول على الوجه الجلي
في الآن والزمن الرحب المقبل

أمر مهم وهو فرض لازب أما الرسائل التي تأتي من يدعو إلى التوحيد ثم لوازم ولزوم سنة أحمد بأصولها قسماً لقد سر القواد بما حوت للعلم المتفطن المتعقل الداعي فأمر ما به من مدخل ثبت لها وأحق منهجه جلي وفروعها لم تخف عن متأمل وشفا بنور منارها المتهلل

لكنها جاءت بأيدي عصبية بل صرحوا بالشرك في كل الوري أوليس أمة أحمد فيهم أني وكذلك قال الطهر لا أخشى لكم عملوا بضد مفصل مع مجمل في أمة الهادي لغير تأمل القرآن كنتم خير أمة مرسل شركا يكون فضالعين وتأمل

وكم استباحوا كم شيوع ركع لم يدع غير الله جل جلاله وكذلك أيضا صح أن المصطفى وإذا غزى الكفار قدم داعيا فإذا استجابوا لم يرد عليهم وتثبت السوالي عنه محمد هذا الوليد أني فعلا منكرا ان جاءكم فيما ترون فاسق كم من تقي عابد متبذل لم يدع أصناما ولم يدع الولي لم يعز قرية ذي الأذان مهلل يدعونهم نهج الهدى لم يعدل إيمانهم بالله في المستقبل لا ينبغي التقصير في أمر الولي فأنت قوارع ربنا في المنزل فتيبوا بصراحة فيما نلي

أما المقادسة الذين تراهم لا يسمعون مقالة من عام وإذا سمعت كلامهم بأدلة لكن داه الخيل أصبح فاشيا ففعاله نكر بعير تأول بل ينسبون الخير أجهل أجهل تحمد الكلام عن الصواب بمعزل فيهم فانا ينصحون بمعدل

فالشَّيخ، ان كان المراد هداية
لا كالعرار وشكله ومظهره
أو ليس قاتل ساء ومعوّض
من غير لا ذنب ولا عناية
بعث الهداية كل شخص أفضل
دو نقطة والكل عن علم خلى
والندب من نسل النبي وصي خلى
بل هم على الدين القوي الأمثل

هذا ولنا قائلين بأن ذا
لكن تجاوب بالوجوب تدارك
والقتل للأولاد أمر ظاهر
والسي للسوان كل عريضة
تألف ما في القلب انكار لما
أبو مرسل يدعو لسة أحمد
الله يعلم أنه لو كان ذا
فخذ الجواب لسان حال سائل
بالأمر من عبد العزيز الأكمل
والنبي عن سفك الدماء المنهل
واذا جهلت فعاضه عنه سلى
تحت الحجاب بستر مولانا العلي
يدعو الى التوحيد للمتزل
في الناس ينشرها بغير تبدل
كنا نساوع نحوه بتعجل
عن كل اشراق البلاد الكامل

● مصادر البحث ●

- ١ - نفع العود - مخطوط - للبيكلي.
- ٢ - الديباج الحسرواني - مخطوط - حسن بن أحمد عاكش.
- ٣ - البدر الطالع - للشوكاني.
- ٤ - نيل الوطر - محمد زيار.

● الهوامش ●

(١) هو الشيخ علامة عبد الرحمن بن حسن البكلي ولي وظيفة نقضاء في مدينة أبي عبيد قاعنة مدينة أبي حنيفة.

(٢) كان من أعيان علماء عصره في حوزة الشريعة علماء ومفكرين وهو مؤلف كتاب علامة النسخة في دولة محمد بن أحمد الخوراني، ولد سنة ١٢٤٨ هـ وتوفي سنة ١٣٢٤ هـ. راجع كتابنا أسماء على الأدب والأدباء في مصطف حجازي - غيره الأول -